Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

بنية بلاغية وإنما بوصفه نوعاً من الأنواع القولية. ونقف فى آثار البلاغيين والنقاد على نصوص تعد من أقدم تجليات التناول لأنواع المخاطبات، عُنيت بتصنيف المنجزات اللغوية مفسحة للسجع مكانا بينها. بيد أن الذين خاضوا فى هذا الحديث قد انقسموا إلى فريقين؛ أحدهما: يُلحق السجع فى التصنيف بباب النثر تحت مسمى "النثر المسجوع"؛ ويرجع ذلك إلى قانون كتابة السجع فى صورة خطيّة أفقية، كما أنه يتفق مع الثنائية السائدة فى الخطاب البلاغى الذى رأى أن الكلام إمّا أن يكون نثراً أو شعراً، أما الفريق الآخر فيرى السجع فنا أدبياً قائما بذاته، لا هو النثر، ولا هو الشعر، ولكنه نمط أدبى ثالث له استقلاله، أو هو فن يمكن أن يُدرج فى قائمة الفنون الأدبية: كفن القصيد، وفن الخطبة، وفن الرسائل، وفن الرجز، وغير ذلك من الفنون.

وفى القول الموجَّه إلى عبد الصمد بن عيسى الرقاشى: "لِمَ تؤثر السجع على المنثور، وتلزم نفسك القوافى وإقامة الوزن؟"[1] نرى تفريقا ظاهراً بين جنسين أدبيين هما: السجع والنثر.

وبرغم أن الجاحظ فى عرضه لمبحث السجع عزف عن صياغة مفهومه أو تقرير قواعده فإن فى مقولاته بعض الإشارات التى تقف شاهدا على طريقة فهمه لذلك المصطلح، فهو يقول نقلا عن معاصريه: "وجدنا الشعر من القصيد والرجز، قد سمعه رسول الله صلى اله عليه وسلم واستحسنه وأمر به شعراءه، وعامة أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم. فقد قالوا شعراً قليلا كان ذلك أم كثيرا وسمعوا واستنشدوا، فالسجع والمزدوج دون القصد والرجز، فكيف يحل ما هو أكثر ويحرم ما هو أقل؟".[2] يبدو أن فهم الجاحظ لمصطلح السجع يتجاوز كونه أداة بلاغية، فهو إنما يقصد به فناً من فنون القول البشرى يبرز إلى جوار الشعر والنثر والازدواج.

والراجح أن الجاحظ صدر عن ذلك الفهم فى الصفحات التى قدّمها تحت عنوان "باب أسجاع"، حيث بدأ ذلك الباب بمقولات لا وجود لسجع فى أغلبها،[3]

---

(١) البيان والتبيين، الجاحظ، ت وشرح حسن السندوبى، دار إحياء العلوم، بيروت، ط١، ١٩٩٣، جـ١، ص ٢٧٥.

(٢) المصدر نفسه، جـ١، ص ٢٧٦.

(٣) انظر: المصدر نفسه، جـ١، ص ٢٨٣.